شبه جزيرة إيبيريا في التنافس البريطاني الفرنسي في أوروبا ١٨٠٧-١٨١٣م

الباحثة / كاترين وجيه جرجس عزيز

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
كلية البنات للآداب والعلوم والتربية- جامعة عين شمس

www.mercj.journals.ekb.eg

الملخص:

أولًا – كانت الحملة على إسبانيا دون أدنى مبرر موضوعي مقنع للشعب الفرنسي الذي كان يدفع من دمه وحريته ثمنًا للحروب التي لا تنتهي من أجل مجد فرنسًا لم يكن هناك مبرر لتلك الغزوة الجديدة اللهم إلا إهداء عرش إسبانيا إلى أخيه، هكذا فهم الشعب الفرنسي تلك الحرب التي كانت أول درجة في سلم سقوطه حتى إنه اعترف هو نفسه بها كخطأ فادح(١) .

ثانيًا– يبدو أن نابليون حكم على الشعب الإسباني من خلال حكمه على الأسرة الحاكمة الإسبانية فارتكب خطأً فاحشًا؛ لأن الشعب الإسباني من الشعوب الجبلية العنيدة التي تكره الخضوع لأجنبي، خاصة، وأن لديها مقومات الكفاح والحرب مستندة إلى وعورة الهضبة الإيبيرية (٢) .

ثالثًا– لقد كانت العاطفتان الرئيستان عند الشعب الإسباني هما :الدين، والعزة القومية، فدفعته هاتان العاطفتان إلى مقاومة الفرنسيين بعناد لم تكن هناك حقًا حكومة تتكلم باسم إسبانيا كلها، فراحت الأقاليم والمدن تعلن تلقائيًّا رفضها لحكم نابليون (٣).

رابعًا– الحقيقة أن الفضل الأكبر لتلك اليقظة التي عمت أوروبا كلها إنما رجعت في المرتبة الأولى إلى عصابات المزارعين والرهبان الإسبانية التي لم تكف عن مقاومة الفرنسيين ببسالة، ففي خلال عام ١٨١٠وقعت معارك حامية الوطيس، وقام بها "سولت" "ناى" "ومسينا" أشهر قواد نابليون بالتنكيل بالشعب الإسباني وطاردوا قوات بريطانيا إلى سواحل البرتغال، ولكن أمام مقاومة الشعب الإسباني وجيشه المبعثر وسط صفوف حرب العصابات استطاع الإسبان الانتصار على نابليون وجنوده (٤) .

خامسًا–لم تكن هزيمة القوات الفرنسية في حروب شبه جزيرة إيبيريا نابعة من عجز نابليون عن تخطيطه للمعركة، بل وضع الخطط التي تؤهله للانتصار بالإضافة إلى جمع عدد كبير من الجنود، ولكن يكمن وراء هزيمة نابليون في إسبانيا عدم تنفيذ جوزيف لأوامر نابليون، حيث تكدر نابليون؛ لأن قواده في إسبانيا لم ينفذوا

أوامره حق التنفيذ، فلم يكن جوزيف يمتلك حنكة حربية. فقد كان يشتهر أنه حكيم عاقل كريم محب للإصلاح، كما إن نابليون لم يكن يعرف حقيقة عدد الجيش الإنجليزي القادم لنجدة إسبانيا [٥].

سادسًا–على الرغم من الجهود التي بذلها نابليون في حربه في شبه جزيرة إيبيريا، إلا إن هناك ثغرة ربما كانت السبب في هزيمته، وهي أن الجنود التي اصطحبها في خوض المعارك كانت جنود مرتزقة من مختلف البلاد والجنسيات واللهجات لا يمكنهم الاجتماع علي قلب رجل واحد أو الانضباط مثل الجيوش المحلية الوطنية [٦].

Abstract:

First, the campaign Napoleon waged against Spain had no rational justification to convince the French people, who sacrificed their blood and freedom for the glory of France in such endless wars. The sole underlying reason behind this new invasion had been to give the throne of Spain to his brother. This is what the French people realized about that war, admitting that it was a fatal mistake that led to sowing their downfall.

Second, it seems that Napoleon misjudged the Spanish people as he thought they were like the Spanish Royal Family, which was a grave mistake as the Spanish are of the stubborn mountain peoples who hate to submit to a foreigner, especially as they have the elements of struggle and war based on the ruggedness of the Iberian Plateau.

Third, the two main emotions of the Spanish people were religion and national pride. In fact, there was no government that spoke for all of Spain, and the provinces and cities eventually declared their rejection of Napoleon's rule.

Fourth, in fact, the greatest credit for this vigilance that pervaded Europe was first and foremost due to the gangs of Spanish farmers and monks who persevered in resisting the French valiantly. In 1810, fierce battles were fought by Salt, Nyen and Messina, Napoleon's most famous leader, where they nailed the Spanish people and chased the British troops to the coast of Portugal. However, the Spanish were able to defeat Napoleon and his soldiers, thanks to their army scattered in the midst of guerrilla warfare.

Fifth, the defeat of The French forces in the wars of the Iberian Peninsula was not due to Napoleon's inability to plan the battle, but the development of plans that would qualify him for victory, in addition to gathering a large number of soldiers. Nevertheless, the defeat of Napoleon in Spain lies in the failure of Joseph to carry out Napoleon's orders, as Napoleon was troubled because his commanders in Spain did not execute his orders. Joseph did not have the acumen of warfare; he was known to be a wise, sane, and generous reformer, and

Napoleon did not really know how many English troops were coming to rescue Spain.

Sixth, despite Napoleon's efforts in his war on the Iberian Peninsula, a loophole may have been the reason for his defeat: the soldiers he took to fight were mercenary soldiers from different countries, nationalities, and dialects, who could not have common grounds or shared goals like the local national armies.

المقدمة:

ظلت القارة الأوروبية المركز الأساسي للصراعات الدولية، وكان أحد العناصر الثابتة في جميع الحروب الرئيسة التي نشبت في القارة الأوروبية خلال القرن الثامن عشر، هو الصراع والتنافس بين بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا تحتلان واجهة المسرح السياسي في غرب القارة الأوروبية، وتتنافسان بشدة للاستئثار بالنفوذ السياسي في داخلها وخارجها، ولم تكن الدول الأوروبية الأخرى لتتوازن معهما في التأثير والنفوذ.فشهدت القارة الأوروبية سلسلة من الحروب شبه المتواصلة كان يفصل بينها اتفاقات سلام هي أشبه بالهدنة مؤقته [٧].

إن طبيعة الصراع بين فرنسا وبريطانيا تمثله المصالح المتضاربة بينهما، والنزعة الاستعمارية التي غلبت على كل منهما .فالرغبة في التوسع والسيادة، تدفع كل دولة إلى العمل على مختلف الأصعدة، واللعب على كل الأوتار من أجل بلوغ أهدافها الاستغلالية المسيطرة، وتحقيق مآربها ضمن إستراتيجية تختلف أحيانًا وتتشابة أحيانًا أخرى .[٨]

والأمثلة الدالة على تضارب المصالح كثيرة، ويمكن أن نذكر هنا تضارب المصالح فيما يتعلق بشبه جزيرة أيبيريا من حيث محاولة نابليون الأول Napoleon Bonaparte(١٧٦٩- ١٨٢١) إمبراطور فرنسا الاحتلال والسيطرة على إسبانيا والبرتغال لاستغلالهما في الأغراض الحربية، والاستيراتيجية، والتجارية، أو حتى في السيطرة على الثروات، ورفض بريطانيا وجود فرنسا في تلك المنطقة الذي يؤثر بدوره على مصالحها الاقتصادية.[٩]

وأصبح وجود نابليون في فرنسا مبعث قلق للدول الأوروبية الكبرى عامة وبريطانيا خاصة، لما يمثله من خطر وتهديد لاستقرار المنطقة، وزاد من تخوف أوروبا خاصة بعدما اكتسح نابليون بجيوشه العديد من الأقاليم الأوروبية.أحرزت فيها

فرنسا انتصارات كبيرة، على جميع الدول التي قاتلتها، وجعلت لنفسها مركزًا رئيسًا في قارة أوروبا، ومدّت أصابعها في شؤون جميع الدول الأوروبية تقريبًا.(١٠)

لمّا أخضع نابليون أوروبا كلها تقريبًا لسيطرته، عجز عن إخضاع بريطانيا العدو اللدود لفرنسا، لذا عمد على محاربتها اقتصاديًّا، فاتخذ الصراع من عام ١٨٠٧ إلى ١٨١٣ بين بريطانيا وفرنسا طابعًا جديدًا كان له أثر عميق في تعديل مجرى الأحداث في أوروبا حتى سقوط نابليون. فقد يئس نابليون من اقتحام استحكامات بريطانيا البحرية، وظلت بريطانيا الدولة الوحيد التي لم تهزم قابعة خلف بحارها في عداء وكبرياء وثقة. ولم يجد نابليون ما يشجعه على استئناف الحرب لمهاجمة بريطانيا إلا باستخدام وسائل غير مباشرة. فكانت حربه مع بريطانيا اختبارًا للصمود الاقتصادي.(١١)

وفيما يتعلق بالمدة التي تم اتحديدها كإطار زمني لهذه الدراسة، فقد جاء اختيار عام ١٨٠٧م ليكون بداية لدراسة البحث؛ نظرًا لأنَّ ذلك العام شكل بداية الانزلاق في الحرب الإسبانية، فقد واجه نابليون حربًا جديدة من نوعها هي حرب العصابات التي أرهقت جيشه واستنزفته بشكل لا سابق له، أما تحديد نهاية الدراسة في عام ١٨١٣؛ ذلك لأنَّ نابليون أجبر على التخلي عن شبه جزيرة إيبيريا وكان بداية لانهيار الإمبراطورية النابليونية.

وهذا ما سنتعرض له بالدراسة خلال الصفحات التالية ونوضح كيف كانت شبه جزيرة إيبيريا بداية انهيار الامبراطورية الفرنسية، وخروج بريطانيا منتصرة من كل هذه الحروب التي دارت في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين .

أولًا – بداية الوجود الفرنسي في شبه جزيرة أيبيريا في ١٨٠٨:

إن قصة الحرب مع إسبانيا قصة لافتة للنظر من جميع الوجوه، فقد كان أبعد شيء عن الاحتمال أن تلقى فرنسا هناك أول عائق حاسم لزحفها في القارة، لقد لعبت

إسبانيا حقًا دورًا كبيرًا في تاريخ أوروبا، وكانت صلابتها مضرب الأمثال، وعلى الرغم من أن التأخر الذي لحق بها في قوتها وثروتها خلال القرن الثامن عشر، أصبحت النموذج الكلاسيكى للدولة المضمحلة، وقد باءت بالفشل كل المحاولات التي بذلتها حكومتها للتدخل في الشؤون الأوروبية، فلم تظهر بادرة واحدة تشير إلى إحراز حكومتها أي تقدم في النزاهة أو بعد النظر، فلم يكن من المتوقع أن تبدو من الجيوش الإسبانية أية مقاومة فعالة لفرنسا، ومع ذلك، فإن أول بارقة أمل في تحرر أوروبا من سيطرة فرنسا النابليونية قد بزغت من إسبانيا(١٢).

شكلت سياسة الحصار القاريContinental Blockade انعطافة مهمة في مجرى الحياة السياسية، وخصوصًا إلى نابليون الذي أخذ يبحث في جميع السبل إلى الإضرار بالتجارة البريطانية، وإعطاء نتائج إيجابية لنظام الحصار القاري، فقد كان لابد أن تخضع لنابليون جميع الدول الأوروبية حتى يتسنى له إحكام الأمر إحكامًا تامًّا، إلا أن ذلك كان من الصعب تحقيقه، فنابليون لم يدرك حين وضع نظام هذا الحصار، صعوبة الأمر، فكثير من دول أوروبا قد اعتادت التعامل مع البريطانيين، وألفت استهلاك بضائعهم، ونظمت موارد إنتاجها على أساس أن أسطول بريطانيا يتولى تصدير فائض منتجاتها(١٣).

لذا فقد تجاهلت هذه الدول أوامر نابليون وظلت تسمح بنزول البضائع البريطانية في موانئها، ومنها تأخذ طريقها إلى باقي أوروبا بواسطة التهريب.ومن هذه الدول البرتغال، (*) الحليفة القديمة والتقليدية لبريطانيا، فهي من أكثر الدول الأوروبية عداءً لأفكار الثورة الفرنسية، كما أن الحكومة البرتغالية كانت قد ارتبطت اقتصاديًّا ببريطانيا(**) وشكلت أحد المنافذ المهمة للتجارة البريطانية الداخلة للقارة (١٤).

وقد أرسل نابليون برسالة إلى حكومة البرتغال في يوليو ١٨٠٧قائلًا:"**من الواجب أن تميل الحكومة البرتغالية إلى أحد الفريقين المتضادين، فإذا كانت راغبة في أن تنضم إلى محالفة وسط أوروبا ينبغي أن تفعل كسائر الدول، وتمنع السفن الإنجليزية**

الموجوده في بلادها من الدخول إلى موانئها كما تمنع دخول البضائع الإنجليزية إلى الأسواق".[١٥] كما حاول نابليون إقناع البرتغاليين أن هدف بريطانيا الأساسي هو احتلال البرتغال، كما ناشد نابليون الحكومة البرتغالية طرد جميع الدبلوماسيين الإنجليز ووقف التجارة معهم على الفور، وأخيرًا إعلان الحرب على بريطانيا [١٦].

ولكن رفضت البرتغال تنفيذ أوامر نابليون معتمدة في ذلك على حماية الأسطول البريطاني لسواحلها، ولهذا فشلت معها محاولات نابليون لحملها على مقاطعة بريطانيا [١٧].

أثار رد البرتغال غضب نابليون فقال:"**إذا لم تفعل البرتغال ما أريد، فإن القلعة المقامة في براجانزاBraganza[***] لن تصمد أكثر من شهرين، وسوف أعلن الحرب ضد أية دولة لن تطيع هذا الكلام خلال موعد أقصاه شهران** " [١٨].

منذ هذه اللحظة، أدرك نابليون أن نجاح نظام الحصار القاري يتوقف على مدى سيطرته التامة على شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال)؛ إذ كان يرى أن إخضاعها قد يؤدي إلى إيجاد أزمة غذائية في بريطانيا [١٩].

فقرر نابليون التدخل في البرتغال لإرغامها على الإذعان لأوامره والامتثال لنظامه القاري وبتحريض من جودويGodoy(١٧٩٢-١٧٩٨)، رئيس وزراء إسبانيا، الذي قام بإقناع نابليون بالتدخل في البرتغال، [٢٠] ففي عام ١٨٠٧، قام بعقد معاهدة فونتينبلو Fontainbleau[*****] سمحت إلى نابليون بالمرور عبر أراضيها[٢١]، وتقديم جميع الخدمات الضرورية له، وبهذه المعاهدة أصبحت إسبانيا حليفة مع نابليون، وقامت بإرسال قوات تضم عشرين ألف مقاتل، وتمكن الجيش الفرنسي الوصول إلى لشبونة بقيادة القائد الفرنسي جونوJuneau، واستولى عليها في الثلاثين من نوفمبر١٨٠٧، ولم يجد الجيش الفرنسي أية صعوبة في احتلال البرتغال، فإن العرش البرتغالي لم يفكر حتى بالمقاومة، بل غادرت العائلة المالكة البلاد هاربة إلى البرازيل

(وكانت آنذاك مستعمرة برتغالية) تحت حماية الأسطول البريطاني بقيادة سيدني سميثSydney Smith، وترك الفرنسيون يحتلون البلاد دون مقاومة فعلية [٢٢].

عندما دخل نابليون البرتغال، نشر خطابًا جاء فيه:"**إن بيت براجانزالا يحكم ولا يسود في البرتغال، وقد أصبحت البلاد تحت حماية الإمبراطور نابليون، وتحكم من قبل قائد القوات المسلحة الجنرال جونو**" [٢٣].

وبذلك نجح نابليون في حملته على البرتغال، ولكن تلك الحملة كانت سببًا في ضياع بلادهم (الإسبان)هم أنفسهم، فإن قوات نابليون التي تدفقت على إسبانيا طوال فترة غزوها للبرتغال لدعم موقف الجيش الإسباني ومعاونته لم تغادر إسبانيا بمجرد انتهاء الحرب ضد البرتغال[٢٤].

وربما كان هناك سبب خفي وراء احتلال نابليون للبرتغال، وهو أمل الاستيلاء إما على الكنوز الملكية أو الأسطول البرتغالي [٢٥].

فقد ظلت القوات الفرنسية مرابطة في إسبانيا بحجة أن ذلك ضروري لتأمين الدفاع عن الشواطئ البرتغالية، وللوصول إلى ضمان أكبر للتطبيق الإلزامي للنظام القاري.إلا إنه في الواقع، فكر نابليون بضم إسبانيا إلى أملاكه متجاهلًا كونها بلدًا حليفًا وصديقًا لفرنسا[٢٦] بعد أن أغرته السهولة التي تم بها احتلال البرتغال، وكانت إسبانيا حين فكر نابليون في غزوها تعاني من التخلف والعزلة عن بقية أوروبا تخضع تحت عبء الامتيازات الارستقراطية والقيود الفكرية العتيقة، وقد توقع نابليون ألا يلقي في غزوة لإسبانيا مقاومة تذكر، وتوقع أن يستقبل فيها كما استقبل في أغلب مناطق إيطاليا، بصفته محررًا للشعوب وحاملًا لمبادئ الحرية والإخاء والمساواة [٢٧] فقال نابليون:"**إننى أكتب على رايتي شعارات (الحرية، والخلاص من الخرافات، والقضاء على طبقة النبلاء) فيستقبلوننى هناك كما استقبلت في إيطاليا، وتنحاز إلى جانبي جميع الطبقات ذات الروح الوطنية، ولسوف تشاهدون كيف أنهم سينظرون إلى كمحرر**".وهذا ما كان يعتقده فعلًا[٢٨].

وكان يهدف من وراء احتلاله لإسبانيا اتخاذها قاعدة لعبور قواته إلى البرتغال، وللتخلص من عائلة البوربون الحاكمة في إسبانيا، كما كان لنابليون دافع اقتصادي، أي التجارة التي تمثل ٧٠% من التجارة الفرنسية في شبه جزيرة إيبيريا، حيث نظر إلى إسبانيا وأملاكها الواسعة في آسيا والأمريكتين على أنها أسواق جديدة لتسويق المنتجات الفرنسية بدلًا من الأسواق التي أغلقتها بريطانيا في وجه البضائع الفرنسية، فقد خطط للغزو بعد فحص شامل للحالة الاقتصادية، وما سيعود على فرنسا من مكاسب كبيرة من جراء هذا الغزو [٢٩].

هناك أمر آخر ربما أغراه بالبقاء وهو أن الفرنسيين اكتشفوا أن الكثير من المدن والقرى والسواحل الإسبانية كانت تتاجر بصورة سرية وناشطة مع الإنجليز، وتتولى تهريب بضائعهم إلى أسواق أوروبا، متجاهلة قوانين الحصار، ثم إن حكومة مدريد كانت أضعف من أن تفرض سيطرتها ورقابتها على كل البلاد لتقضى على أعمال التهريب[٣٠].

أو ربما كان السبب وراء اهتمام نابليون بإسبانيا أكثر من البرتغال، هو إحكام حلقات النظام القاري ضد بريطانيا؛ وذلك بالسيطرة على موانئ قادش وبرشلونة، وعليه قام بإرسال مبعوثين إلى إسبانيا، ومن ضمنهم الكونت دي تورنون Tournon، الذي كتب تقارير إلى نابليون تشير إلى أن الموقف ملائم لتغيير العائلة الحاكمة في إسبانيا، ربما كان يشير إلى الاختلاف الذي حدث بين الملك وابنه الوريث فرديناند السابع على العرش، حيث تم اعتقاله بتهمة التآمر ضد العرش، وسمي هذا التآمر بأرانجوز Aranjuez هو مقر العائلة المالكة في جنوب مدريد، وقد وقع في ١٧مارس عام ١٨٠٨ [٣١].

وربما كان هدف نابليون من حربة واستيلائه على إسبانيا والبرتغال، ليس فقط تطبيق الحصار القارى، وإنما لأن هاتين الدولتين عبارة عن مدخل للبحر المتوسط حتى يتمكن من غزو مصر وأراضي الدولة العثمانية [٣٢].

وقد قام نابليون بإدخال قوات فرنسية كثيرة العدد إلى شمال إسبانيا تحت ذريعة تعزيز قوات جونو، وعين الجنرال مورا يواقيمMurat Joachim قائدًا عامًا للجيوش الفرنسية في إسبانيا، وأمره باحتلال الأراضي الإسبانية تدريجيًّا، وخلال شهري فبراير ومارس من عام ١٨٠٨، استولت هذه القوات على القلاع المهمة جدًّا في شمال إسبانيا، في حين تقدمت قوة فرنسية أخرى من الجنوب نحو مدريد، وتمت السيطرة الكاملة على إسبانيا في مارس ١٨٠٨[٣٣].

وعندما شعر الملك الإسباني بنوايا الفرنسيين، حاول مع أعوانه وعائلته أن يترك العاصمة، ويستقر في المرفأ الإسباني الشهير قادش، حيث يمكنه إذا اشتد الخطر أن يسافر إلى أمريكا الجنوبية، واستاء الشعب كثيرًا في العاصمة من هذا التصرف الذي يفتقر للشجاعة والعزة القومية، فثار الإسبان على ملكهم شارل الرابع Charles IV[******] بسبب سوء سياسته التي أدت إلى دخول الجيوش الأجنبية البلاد وأجبروه على التنازل عن عرشه والمطالبة بابنه فرديناندالسابع VII Ferdinand ملكًا [٣٤].

أدى ذلك التطاحن والانقسام في داخل البلاد إلى دخول الجيوش الفرنسية العاصمة الإسبانية للقضاء على مقاومي الاحتلال الفرنسي، ولفرض النظام والأمن فيها عن طريق إقناع فرديناند السابع بأن دخول نابليون إسبانيا هو أفضل فرصة لتأمين تاجه لإبقائها إمبراطورًا علي إسبانيا، ولما لم يتمكن من التوفيق بين الملك القديم وبين الملك الجديد الحائز على ثقة الشعب الإسباني وعطفه، أرسلت العائلة المالكة كلها إلى بايون Bayonne في فرنسا فوجد فرديناند نفسه سجينًا في فرنسا في مواجهة ضد والديه وجودوي[٣٥] حيث استعمل نابليون كل ما عنده من أساليب الحيلة والدهاء، وجعل الاثنين يتنازلان عن العرش الإسباني[٣٦] وعهد بتاج مدريد إلى أخيه جوزيف بونابرتJoseph Bonaparte (١٧٦٨-١٨٤٤) بعد أن استدعاه من عرش نابولي وأصدر نابليون في السادس من يونيو ١٨٠٨ مرسومًا إمبراطوريًّا بتنصيبه ملكًا

على إسبانيا قائلًا له:"**تنحى ملك إسبانيا وظهرت فتنه في مدريد والشعب الإسباني يناشدني، وإننى لا أقدر على عقد صلح ثابت مع بريطانيا إلا بعد انقلاب كبير في أواسط أوروبا، وقد صممت على وضع ملك فرنسي على عرش إسبانيا، إن مناخ هولندا لا يتفق معك وقد فكرت في عرش إسبانيا لك**" (٣٧).

وعلى إثر ذلك، أعلن رسميًّا في مدريد في العشرين من مايو ١٨٠٨تنازل عائلة البوربون عن الحكم(٣٨).

عندما علم جورج الثالثGeorge III (١٧٣٨-١٨٢٠) ملك بريطانيا خبر تنصيب جوزيف على مملكة إسبانيا معلنًا في جلسة البرلمان التي عقدت في الرابع من يوليو عام ١٨٠٨بخصوص القضية الإسبانية:"**أن الأمة الإسبانية التي تجاهد للتخلص من تعديات فرنسا ومظالمها لا أحسبها بعد عدوة، ولكنها دولة صديقة طبيعية وحليفة صادقة، وعند ذلك أطلق سبيل كل الأسرى الإسبان(الذين تم أسرهم في معركة قادش) بعد أن ألبسوا الملابس، وقلدوا السلاح لينضموا إلى القوات الإنجليزية** " (٣٩).

وأما كاسلريهCastlereagh(*******) فقال في أحد خطاباته الموجهة إلى قائد القوات في جزر ليواردLeeward Islands في٤ يونيو عام١٨٠٨م قائلًا :"**إن الإجراءات التي لم يسبق لها مثيل في إسبانيا من قبل نابليون في إرغام العائلة المالكة بأكملها على التنازل عن العرش، والتخلي عن حقها في العرش، والتدابير التي يتخذها لوضع تلك المملكة والمقاطعات الإسبانية في أمريكا اللاتينية تحت سلطته المباشرة يدعونا لبذل كل الجهد للتصدي لأطماع نابليون في هذه المنطقة** " (٤٠).

فقد قال المؤرخ اليسون الإنجليزي:"**ربما لن نجد في تاريخ العالم أجمع مما يذكر شرور الناس ما يشبه أعمال نابليون التي أكسبته مملكة إسبانيا بالخداع والكذب**".وقال ولتر سكوت :" **ينبغي أن نعدل في الحكم على نابليون فنقول:" أنه لم يحاول قط أثناء تلك المفاوضات غير العادية ستر سياسته المبنية على حب الذات** "(٤١).

لم يكن هناك في إسبانيا طبقة برجوازية إلا في بعض المواني، وخصوصًا في قادش، ولذا كان ينقص إسبانيا العنصر الذي يمكن أن يتقبل النفوذ الفرنسي، كما في باقي أوروبا، وفي الحقيقة، إن جميع عناصر المجتمع الإسباني تألبت ضد فرنسا [٤٢].

اعتقد نابليون بأن السيطرة على إسبانيا تجبر بريطانيا على عقد صلح مشرف له، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها إلى أخيه جوزيف بعد أن جلس على عرش إسبانيا في ٨ أبريل عام ١٨٠٨قائلا:"**إن الظروف تفرض علىَّ أن أغطي كل أوروبا بقواتي، ولقد بدأت بريطانيا تعاني وقريبًا يتم عقد السلام الذي يمكنني أن أغمد السيف وأعيد الهدوء والسلام إلى أوروبا**" .[٤٣]

ثانيًا :- بداية التدخل البريطاني لمساندة المقاومة الإسبانية :

إلا إن الظروف جاءت مخيبة لآمال نابليون، حيث رفض الشعب الإسباني الحكم الفرنسي والتدخل الفرنسي في شؤونه، فاشتد عود المقاومة بعد أحداث الثاني من مايو ١٨٠٨وتطور الأمر عمليًّا إلى حرب[٤٤]، وتم تشكيل المجالس العسكرية بكل المقاطعات الإسبانية لتنظيم التوجهات العسكرية، وفي غضون وقت قصير، انتشر التمرد مثل النار في الهشيم في كل ربوع المملكة.كانت تلك هي المرة الأولى التي واجه فيها نابليون شعبًا غاضبًا، وعدتَ تلك ظاهرة جديدة على الرغم من انتشار الجهل.فقد كان عازمًا على جعل مدريد مدينة عسكرية ومركز عمليات حربية لإرسال الحملات منها لبقية المناطق في شبه الجزيرة الإسبانية [٤٥].

ونتيجة لتلك الأوضاع المتدهورة كتب جوزيف إلى أخيه نابليون في التاسع عشر من فبراير١٨٠٩ قائلًا: "**أخي فيما يتعلق بشؤون مدريد لا تستمع إلى الأشخاص الذين يخدعونك، موقفي ليس ممكنًا الدفاع عنه، أكرس عملي من الساعة السابعة صباحًا حتى الحادية عشرة ليلًا، أنا ليس لي قوة حقيقية في مدريد وحتى بالإضافة إلى عمليات الاغتيالات والقتل في كل مكان وفي الختام، أحمق من يبقى طويلًا في هذا المكان الخاطئ**" [٤٦].

وأما الجيش الإسباني الرسمي، فقد وقف مباشرة ضد فرنسا وانقسم إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب في شبه جزيرة إيبيريا من جهة وفي جاليس Galis وكاتالونيا Catalonia من جهة ثانية، وكان لهذا الجيش الإسباني قادته كاستانوس بالافوكس Castellin Balafox وجالوزو Galoso ولو ترك هذا الجيش وقواده لما استطاع أن يعمل شيئًا أمام الجيش الفرنسي، إلا إنه كان يلقي نجدة الجيش الإنجليزي الذي نزل على أرض البرتغال (٤٧).

واشتدت الحرب التحررية الإسبانية ضد فرنسا، وتعالت الصيحات المطالبة بخروج الفرنسيين من البلاد، وسرعان ما تألفت المجالس التنفيذية الثورية في المدن المهمة، وكان مجلس أشبيليه هو من تولى زمام السلطة العليا(٤٨) بقيادة الجنرال رومانا Romana، كما ظهرت حركة إصلاحية وطنية نظمت جيشًا كبيرًا خاض معارك دموية ضد الوجود الفرنسي، فحدث التصادم بين القوات الفرنسية والإسبانية، وأعلنت الحرب حتى الموت ضد الفرنسيين إلى أن رحلوا عن إسبانيا، واسترجعت البلاد استقلالها. وكان هدف الإسبان ليس فقط تخليص البلاد من الفرنسيين، بل من الإسبان الموالين لهم أيضًا (٤٩).

وفي أول أغسطس عام١٨٠٨م، حدث أول هياج وطني ضد القوات الفرنسية على أن المتمردين لم يكونوا مدربين، وليس لديهم جهاز حرب ولا سلاح، ولذلك لم يستطعوا صد الجيش الفرنسي إلا إنهم أخذوا في القتال غير المنتظم بطريقة لافتة للأنظار، وأظهروا قدرة خارقة في الدفاع عن بلادهم؛ مما استنزف القوات الفرنسية، حيث كانت تدفعهم رغبة في التحرر من الجيش الفرنسي (٥٠).

ولما كان رجال الدين والرهبان الإسبان يرون في نابليون واحدًا من أبناء الثورة الفرنسية "الملحدة "التي اضطهدت رجال الدين، وحطمت عظمة الكنيسة الفرنسية وقوتها، فقد حملوا بقوة وشجاعة لواء التصدي للاحتلال الفرنسي(٥١) وأخذوا يثيرون الأمة ويحرضونها على مزيد من المقاومة والقتال، وكان هؤلاء مشبعين إلى جانب

الإيمان والولاء للكنيسة بعاطفة وطنية جامحة جعلتهم دومًا في طليعة رجال المقاومة ضد المحتلين الملحدين(٥٢)، وقد كتب رئيس أساقفة اشبيلية من روما لزميله في٢٠ يونيو ١٨٠٨قال:"**إنك تشعر جيدًا بأنه يجب علينا ألا نعترف بملك ماسوني مهرطق لوثرى (نابليون)**" (٥٣).

كما إنهم عملوا على إفهام الأشراف الإسبان وكبار ملاك الأراضي حقيقة المبادئ التي يمكن أن تزرعها الثورة الفرنسية بواسطة جنود نابليون في قلوب الفلاحين الإسبان، مما قد يؤدي إلى انهيار امتيازاتهم، وراح رجال الدين بعد ذلك يوقظون في عامة الإسبان العاطفة الدينية الراسخة طالبين منهم "محاربة أعداء المسيح والمسيحية"، ولما لم تكن أصلًا فلسفة الثورة الفرنسية ومبادئ الحرية قد لاقت هوى عند الشعب الإسباني، فإن صيحات رجال الدين لاقت آذانًا صاغية، وهبت إسبانيا بأسرها لمقاومة الجيوش المحتلة التي تضم مائة وستين ألف جندي من جنسيات وقوميات متعددة، ويضاف إلى ذلك إلغاء نابليون عند دخوله مدريد في الثالث والعشرين من مارس١٨٠٨م محاكم التفتيش وإغلاق والأديرة ومصادرة أموالها، كل تلك الأسباب كانت دوافع مباشرة لانتفاضة الشعب الإسباني(٥٤).

ربما قام نابليون بإلغاء محاكم التفتيش والأديرة ومصادرة أموالهم لتوجيه ضربة قاصمة إلى رجال الدين لإثارة الشعب الإسباني، أم هناك سبب آخر هو أن نابليون وضع مزاعم للدخول إسبانيا عن طريق نشر التنوير والحريات وإقناع الشعب الإسباني بأنه سيخلص بلادهم من الخرافات، والجهل وسيطرة الكنيسة، ومحاكم التفتيش على عقول وحياة الناس بعدما قام باعتقال البابا بيوس السابع(١٧٤٢ -١٨٢٣) وسجن أو كان يريد التخلص من الأسرة البوربونية الحاكمة وتعيين جوزيف أخيه على العرش الإسباني اتضح ذلك من خلال ما فعلوه الفرنسيون من الهجوم على الأهالى بالمدافع والبنادق لتفتيش إسبانيا مرحلة أخرى من الاضطراب، والقتل، والرعب ليتحول لديهم شعور التخلص من المستعمر الأجنبي مستعينة ذلك ببريطانيا حتى تم إخراج فرنسا عام ١٨١٤م وإطلاق سراح البابا وعاد فردناند إلى الحكم وتأسيس المحاكم من جديد

وبدأ العصيان بتأليف لجان محلية تسمى (اللجان الثورية) التي ضمت العصابات وسلحتها، وكانت هذه العصابات تجوب البلاد وتقوم بمهمة الشرطة الأهلية (ميلشيا) حيث تسند عمل الجيش النظامي، كما إنها كانت تحارب بنفسها عندما لا يوجد إلى جانبها جنود نظامية وتألفت على هذا النحو ١٧لجنة ثورية في مختلف أنحاء إسبانيا باشتراك جميع السكان وقفت العمليات العسكرية الفرنسية عاجزة تجاه شمول الحركة ودوامها، ورغم أن الجنود الفرنسية أحرزوا النصر في كل عملية حربية، فإن الظفر في مكان لا يعنى شيئًا، وكان من الممكن ألا يحصل الإسبان على نتائج قطعية لولا مساعدة الإنجليز، ولكن قوي العصيان وحدها كانت كافية لتظهر عجز الجيش الفرنسي، إلا إن المساعدات البريطانية كانت الأكثر تأثيرًا وفاعلية [٥٥].

ومن مظاهر المساعدات الإنجليزية إرسال الحكومة البريطانية كاهنًا كاثوليكيًّا، الأب جيمس روبرسونRobertson جاسوسًا، حيث كان لديه خبرة في طبيعة الشعب الإسباني، وساعد الرهبان الإسبان على مقاومة الجيش الفرنسي.[٥٦] كما ساعد الإسبان في ذلك الكفاح طبيعة بلادهم الجبلية التي جعلت مهمة تموين الجيوش الفرنسية صعبة، كما ساعدت طبيعة تلك البلاد أيضًا على انتشار حرب العصابات، وكان الأسطول الإنجليزي يمون تلك العصابات بالأسلحة والمؤن والذخيرة، واستطاع الإسبان أن ينتصروا على الفرنسيين بقيادة ديبون Debon في موقعة بايلن Baylenفي جنوب إسبانيا، وكانت هزيمة منكرة أثارت دهشة أوروبا واضطر الفرنسيون إلى إخلاء مدريد في يوليو عام ١٨٠٨ [٥٧] وكتب جوزيف إلى نابليون قائلًا:"**عليك أن تحشد جيشًا من مائتى ألف جندي لتستطيع غزو إسبانيا، وأظن أنك لم تخبر الشعب بذلك، فكل بيت يعدَ حصنًا، وأريدك أن تثق أننا إذا استولينا على إسبانيا بالقوة، فلن نستطيع أن نحصل على ولاء رجل واحد من الشعب الإسباني** " [٥٨].

هرب الملك جوزيف لينجو بنفسه، ووقع الفرنسيون في قبضة الثوار الوطنيين الذين قطعوا عنهم الماء والتموين، وأجبروهم على التسليم واهتزت أوروبا عندما

وصلتها أنباء استسلام واحد من أبسل قادة نابليون (يواقيم مورا Joachim Mora)، بل إنه استسلم هو وكل قواته البالغ تعدادها عشرون ألف مقاتل دون أدنى مقاومة [٥٩] وعلم نابليون بخبر الهزيمة، فراح يتوعد ويهدد وكتب من فرنسا إلى أخيه قائلًا :" **سأستولي على إسبانيا رغم كل شيء، ولن أجعل لقوتي حدودًا**" [٦٠] .

كانت معركة بايلن مثيرة، فأهميتها تكمن لا في طرد الفرنسيين من جنوب إسبانيا، بل إنها المرة الأولى التي انهزم فيها الجيش الفرنسي بصورة حاسمة، وفي الحالة المعنوية المنهارة التي تفشت في صفوف الجيش الفرنسي برمته بعد تلك الهزيمة، وفي الحالة المعنوية العالية لدى الإسبان الذين مضوا قدمًا في مقاتلة نابليون[٦١] كذلك شجعت القوات البرتغالية على إعلان الثورة ضد الوجود الفرنسي [٦٢] .

أدرك نابليون خطورة ذلك، ولم يكن لديه خيار سوى التحرك بحزم وشدة من أجل إعادة هيبته وفرض نظامه من جديد على شبه الجزيرة الإيبيرية، مما اضطره إلى الحضور بنفسه لتولي زمام الأمور، وشجع وجود نابليون الجنود الفرنسيين، فراحوا يستبسلون من أجله، وانهزم الإسبان ثلاث مرات متوالية خلال خمسة عشر يومًا، وبعد ذلك سار نابليون نحو مدريد عاصمة إسبانيا، فحاولت كتائب إسبانية أن توقف تقدمه، لكنه سرعان ما تغلب عليها، فاحتل مدريد وبطش بأهلها حتى دانت له العاصمة الإسبانية[٦٣] فأرسل خطابًا إلى الشعب الإسباني قائلا:"**إنني أفعل في مدريد ما يوقع الرعب في قلوب الشعب الإسباني التي تقفل أبوابها لمنع دخول جنودي، ولكن أفضل أن يكون فتح مدريد بتعقل**".[٦٤] وأعاد إلى العرش أخاه جوزيف، ولو كان بوسع نابليون أن يبقى في إسبانيا مع الجزء الأكبر من جيشه، لسارت الأمور على الأرجح على مايرام، ولكن إمبراطوريته الشاسعة الأرجاء كانت تتطلب اهتمامه، وسرعان ما طرأت أحداث على الدانوب استنزفت جانبًا ضخمًا من قواته[٦٥].

إلا إن ذلك لم يبدل من الأمر شيئًا، فإن المقاومة الإسبانية ظلت على ضراوتها وسجل الإسبان جنودًا ومواطنين أروع صفحات البطولة في تاريخ أوروبا وظل كفاحهم سرطانًا يستنزف قوى نابليون ويجبره على حشد أعداد وفيرة من الجنود

في شبه الجزيرة الإيبيرية دون جدوى أو فعالية، ولعل حصار سرقسطة هو خير مثال على بسالة الإسبان وقوه احتمالهم [٦٦].

ثالثًا- التدخل العسكري البريطاني في شبه جزيرة إيبيريا لطرد الجيش الفرنسي :

كانت الحكومة البريطانية تراقب الوجود الفرنسي المتزايد في إسبانيا باهتمام شديد في الشهور التي سبقت الانتفاضة الإسبانية، فقد كانت صاحبة العين الساهرة على الشواطئ الإسبانية، فوجدت في الأرض الإسبانية والبرتغالية رقعة من الأرض الأوروبية تحارب فيها جيوش نابليون، وتشغل أعدادًا كبيرة منها، فوجدت في الشعبين الإسباني والبرتغالي جنودًا ثائرين أقوياء المراس، قساة القلوب يدفعهم إلى الحرب عامل الانتقام والكره الشديدين ضد الفرنسيين، فقليل من المساعدة كان يعزز في نفوسهم أمل النصر[٦٧]، ويتضح ذلك من الرسالة التي أرسلها سير أرثر ولزلى Arthur Wellesley(١٧٦٩-١٨٥٢م) قائد الجيش الإنجليزي إلى اللورد كاسلريه جاء فيها:"**أبلغكم أني أبحرت من كورونا، كما قلت لك وأن الإسطول البريطاني لمحاصر جميع المقاطعات شمال تاجوسTagus، وأن لشبونة في حالة من التمرد ضد الفرنسيين والشعب الإسباني مستعد لحمل السلاح**".[٦٨] ونتيجة لما فعلته بريطانيا، وصل وفد إسبانى في أوائل يونيو عام ١٨٠٨للندن يحمل نداء المساعدة، وتلقى هذا الوفد استقبالًا حافلًا في لندن فغيروا، وجهة النظر البريطانية تجاه الثورة الإسبانية وعززوا إمكانية للتدخل البريطاني نيابة عن البرتغال الحليف القديم، وهذا من شأنه أن يوفر لبريطانيا موطىء قدم في القارة [٦٩].

فقد كانت الحكومة البريطانية بقيادة الورد بورتلاند William Henry Portland(رئيس الوزراء) البداية مترددة حول مسألة التدخل في شؤون شبه الجزيرة الإيبيرية، ومتأرجحة بين سياستين:إحداهما تمثل رأي وزير خارجيتها في ذلك الوقت الورد جورج كاننج(١٧٧٠-١٨٢٧)George Canning، وهي سياسة الحرب بالعناصر المحلية[٧٠] التي كان يقصد بها أنه على بريطانيا تشجيع الحرب والثورة في داخل شبه

الجزيرة بقوات البلاد نفسها، مع إثارة العواطف الوطنية ضد نابليون، وتقديم الدعم المالي والمعنوي لهذه القوات، من أجل عدم زيادة الأعباء على الحكومة البريطانية في هذه المرحله:في حين كانت السياسة الأخرى والمتمثلة برأي وزير الحرب الورد كاسلريه تقوم على الحرب الفعلية؛ إذ كان يرى أنه على بريطانيا من أجل إضعاف الجيش الفرنسي وإخراجه من شبه الجزيرة لابد لها من أن تحارب جيش نابليون بقواتها في البر وتكسر سطوته، وقد رجحت الحكومة البريطانية رأي اللورد كاسلريه وشرعت بتكوين قوة عسكرية برية عهدت بقيادتها إلى الدوق ولنجتون (آرثر ولزلى)، وأرسلتها إلى البرتغال وإسبانياعلى رأس ثمانية عشر ألف رجلٍ، متقدمة على طول خط الساحل نحو لشبونة [٧١].

فقد أدرك كاسلريه خطورة وجود الفرنسيين في إسبانيا، فقد اعتقد أنه يمكن بسهولة استخدام الفرنسيين القلعة الإسبانية (سبتة) في شمال أفريقيا كنقطة انطلاق للهجوم على جبل طارق. ومن ثم أرسل قوة عسكرية برية تساعد الإسبان في طرد الفرنسيين[٧٢]، فعندما أرسلت الحكومة البريطانية المبعوث البريطاني فرير Frere (السفير البريطاني في مدريد)لإسبانيا، وجهت له عدة تعليمات بشأن بعض القضايا المهمة منها العلاقات التجارية بين بريطانيا وإسبانيا، حيث منعت فرنسا التجارة بين إسبانيا وبريطانيا، كما طلبت منه الحفاظ على أمن جبل طارق، فقد كان فرير صاحب العين الأكثر يقظة على أمن جبل طارق، ويعمل على ضمان العلاقات السلمية بين الحامية البريطانية والإسبان في المنطقة المحيطة وإرسال حملة عسكرية لمساندة الشعب الإسباني، وأوكلت له مهمة تشجيع إسبانيا لزيادة التجارة بين بريطانيا وإسبانيا [٧٣].

وبالفعل، استطاع فرير تنفيذ هذه المعلومات، فقد استفادت بريطانيا من هذا الموقف، بإنشاء روابط تجارية وثيقة جدًّا مع المستعمرات الإسبانية والبرتغالية في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى، بلغت التجارة البريطانية مع البرتغال متوسطًا سنويًّا حوالي مليون جنيه إسترليني، حيث زادت التجارة في المنطقة بشكل كبير خلال سنوات الحرب الإسبانية [٧٤].

ركزت بريطانيا أيضًا على استعادة الممالك الإسبانية والبرتغالية حريتها والدفاع عن البرتغال الحليف القديم لها، وتوجيه ضربة للنظام القارى[٧٥]، فسرعان ما حققت القوات البريطانية نصرًا حاسمًا على القوات الفرنسية عند فيميرو Vimieor في ٢١ أغسطس ١٨٠٨مما دفع القائد الفرنسي جونو إلى طلب الصلح في ٢٢ أغسطس ١٨٠٨[٧٦] بعد أن تمت محاصرته من قبل القوات الإنجليزية، فتم عقد اتفاقية سينترا Cintra في٣٠ أغسطس ١٨٠٨[٧٧] ولكن في هذه المرحلة، حل محل سير آرثر ولزلى ضابط متفوق، وهو سير هيو ديريميلي Sir Hew-Dairymple، الذي فتح مفاوضات مع جونو وفقًا لهذه الاتفاقية[٧٨] التي تضمنت سحب الجيوش الفرنسية من البرتغال، ونقل الجيوش بأسلحتها إلى فرنسا على سفن البحرية البريطانية[٧٩] ونصت الاتفاقية أيضًا، على وقف التسلح بين الجانبين البريطاني والفرنسي خلال مرحلة الإخلاء، ورفع حالة التأهب والاستعداد في صفوف البحرية البريطانية المتواجدة خاصة في مدخل نهر التاجوس، وعينت الاتفاقية نهر سراندر Sirandre كخط لترسيم الحدود بين الجانبين، على أن لا تشغل منطقة توريس فدراس Torres Vedras)خطوط قلاع وخنادق(من الجانبين، كذلك يجب تسليم كل الأماكن والموانئ البرتغالية المحتلة من قبل القوات الفرنسية إلى القوات البريطانية، وذكر الاتفاق أنه على القوات البريطانية التعهد برعاية كل المرضى والجرحى الفرنسيين، الذين ليس لديهم القدرة على السفر على نفقة الحكومة البريطانية إلى أن تؤمن الحكومة البريطانية، نقلهم لاحقًا إلى بلدهم.على أن يتم تبادل فوري لجميع السجناء في البرتغال منذ بدء القتال.وعلى القوات الفرنسية أن تقتات من مخازنها حتى يوم الشحن على أن يترك الباقي للقوات البريطانية ولايتم إتلافه [٨٠] .

لكن الرأي العام البريطاني كان رافضًا لهذا الاتفاق، وتسبب في ضجة كبيرة في لندن ومجلس العموم البريطاني، فقد نظر مجلس العموم البريطاني للاتفاقية على أنها مثال لعدم كفاءة الحكومة، وأما جريدة التايمز، فقد وصفتها بأنها اتفاقية

"الخسيس"وأما الدوق بورتولاند، فقد وصف شروط المعاهدة بأنها سخيفة، أما كاسلريه، فقد قال:"**لم أقتنع أن أحدًا يوافق على عقد هذه الاتفاقية التي تعطي فرنسا مزايا كثيرة على الرغم من ضعف موقفهم التفاوضي بعد هزيمتهم في المعركة**".فالبريطانيون لم يصدقوا أنه كيف يمكن لجيش منتصر يملك كل المميزات توقيع اتفاقية مع إعطاء الكثير لأعدائه المهزومين ويترك القليل لنفسه [٨١].

أعرب دونداس Dundasعن استيائه من المواد التي نصت عليها شروط الاتفاقية والتي أثرت بصورة مباشرة على مصالح الدولتين الإسبانية والبرتغالية، أما جورج كاننج، فقد فزع من الاتفاقية، وقال إن شروط الاتفاقية غير صالحة لبريطانيا، وأنها لا يمكن أن تتم الموافقة عليها، فإن هذه الاتفاقية تشجع أعداءنا[٨٢] إلا إن آرثر ولزلى حاول تفسير الأمر برسالة بعث بها في ٢٣ أغسطس١٨٠٨م إلى الورد كاسلريه يوضح له الأسباب التي دفعته لقبول الاتفاقية، موضحًا له أنه وبعد وصوله البرتغال في اليوم الثاني لموقعه فيميرو، جاءه كتاب من القائد الفرنسي يطلب فيه الصلح، وقد كان اللورد آرثر ولزلى قد وافق على الشروط الأولية لهذه الاتفاقية، فضلًا عن ذلك أن غايته من قبول الاتفاقية هي إنهاء الأعمال العدائية من أجل تحسين أوضاع الجيش البريطاني هناك[٨٣] والانتفاع من طرد الجيش الفرنسي من البرتغال والسيطرة على المواقع التي كان الفرنسيون مسيطرين عليها هناك، فتم فعلًا دخول القوات البريطانية إلى لشبونة في١٢سبتمبر من العام نفسه، ولم يبق جندي فرنسي في جميع أنحاء البرتغال مع نهاية الشهر [٨٤].

لكن على الرغم من ذلك فقد كان لمعركة فيميرو، ومن قبلها هزيمة بايلن، الأثر الكبير في إثارة الأذهان إلى أنه ليس من الصعب الانتصار على جيوش الإمبراطور نابليون ذات الإمكانات الكبيرة والتدريب العالي.فأخذت النظرة تتغير لهذا«الجيش الكبير»[٨٥] الذي لا يقهر وأخذت أصداء هذه الهزائم تنتشر في كل مكان من أوروبا، ومن ناحية أخرى أصبحت أوروبا تنظر إلى الإسبان على اعتبار أنهم شعب يسعى إلى تخليص نفسه من طاغية، ولقد وضعت هذه الحرب الإسبانية فرنسا

في موضع حرج، حيث أصبحت مضطرة إلى إرسال قواتها وأموالها إلى هناك باستمرار؛ إذ لم تهدأ الحرب الإسبانية إلا بسقوط نابليون نفسه(٨٦).

كانت حرب نابليون في هذه المرة تختلف عن الحروب السابقة التي خاضها طوال فتره حكمه، فقد اصطدم في هذه المرة بقوة جديدة لم يألف مكافحتها من قبل، وهي قوة الشعور الوطني، فنابليون لم يقاتل إلا بلادًا متقطعة الأوصال لا وحدة لها ولا ارتباط بين أجزائها كألمانيا والنمسا وإيطاليا، ولكنه وقف في هذه المرة أمام أمم قوية هبت تدافع عن كرامتها القومية(٨٧) فقد صدق قول أخيه الملك جوزيف عندما كتب إليه:"**يقول يا أخي: إن مجدك سينتهي في إسبانيا، فطبيعة شبه جزيرة إيبيريا تجعل غزوها من الشمال من المستحيلات لوضعية جبالها وأنهارها، بينما هي سهلة المأخذ من الجنوب**"(٨٨).

كما إن اقتحام نابليون لأراضى شبه الجزيرة الإيبيرية كان الحلقة الأولى من سلسلة ثورات قومية ضد الإمبراطورية الفرنسية، كما كانت هذه الحرب بداية لإشعال الروح الوطنية لدى كل البلاد التي دخلتها الجيوش الفرنسية، فكان ذلك فاتحة نهاية عصره، حيث اصطبغت هذه الحرب بصبغة تختلف تمامًا عن كل الحروب الأخرى، حيث لم تقتصر الجيوش الفرنسية على محاربة الحكومات وجيوشها النظامية، بل أصبحت في مواجهة الشعوب التي أخذت تضطلع بدور تلقائي في محاربة الغزاة (٨٩).

وفي الحقيقة، إن الأحداث التي جرت في البيت الحاكم الإسباني وفساد جودوى وضعف الملك كان سببًا كبيرًا في نجاح الجهد البريطاني في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث وصل الشعب الإسباني إلى قمة غضبه من كل هذه الأحداث، الأمر الذي سمح للقوات البريطانية بالتدخل. ومن اللافت للنظر أنها هي ذاتها عوامل القوة التي دفعت بنابليون وفرنسا إلى كل أوروبا، وبعبارة أخرى، فإن عوامل البناء التي ساعدت نابليون على تكوين الإمبراطورية، كانت هي عوامل الهدم التي أجهزت

عليها، فقال نابليون وهو في سانت هيلانه :"**أعترف بالخطأ الذي ارتكبته في إسبانيا، فإن حربي في شبه جزيرة إيبيريا استنزاف لكل الموارد المالية والبشرية لفرنسا، وكانت السبب الرئيس لانهيار إمبراطوريتي** ". [٩٠]وكانت الانتفاضة الإسبانية هي المثال الأول في أوروبا للروح القومية الثائرة ضد نابليون[٩١]

رابعًا : الصراع البريطاني الفرنسي في شبه جزيرة إيبيريا عام ١٨١٠ :-

عاد آرثر ولزلى إلى البرتغال في أبريل ١٨٠٩، لقيادة القوات البريطانية هناك مرة أخرى، وعندما حاول التقدم إلى إسبانيا تم منعه من قبل القوات الفرنسية في معركة دامية هي معركة تالافيرا Talaveraفي يوليو ١٨٠٩[٩٢]، التي تعد من أشرس المعارك التي خاضها الجيش البريطاني، حيث كانت نقطة الاتصال بين الإسبان والبريطانيين على الرغم من أن معركة تالافيرا قليلة الأهمية مقارنة بالحروب في إسبانيا إلا إنها كانت سببًا في خلاص البرتغال من الإحتلال الفرنسي، حتى إن نتيجتها كانت أكثر من ذلك، حيث إنها جعلت الحكومة الإنجليزية قانعة بأنها كشفت الطريقة الحقيقية التي يمكنها أن تكسر سطوة نابليون بها[٩٣] ربما يرجع انتصار القوات البريطانية إلى مساندة القوات الإسبانية لهم ومعاونة الجنود، ويتضح ذلك جليًّا في الخطاب الذي قدمه أرثر ولزلى إلى كاسلريه في٢٩ يوليو ١٨٠٩قائلًا:"**إن القائد العام الإسباني وضع كل الترتيبات اللازمة لتقديم المساعدة لنا بالتعاون مع ضباطه وقواته، فمن شارك منهم في المعركة، قام بدوره كاملًا، لكن الأرض التي يسيطر عليها العدو ذات أهمية كبرى وفي ذات الوقت السيطرة على الجزء الأمامي منها صعب للغاية مما دفعني إلي التفكير بأنه من غير المناسب الدفع بالجنود والقيام بأية تحركات على يسار قوات العدو أثناء انشغاله معنا.**" [٩٤].

وظل أرثر ولزلي في شبه الجزيرة على الرغم من أن بعض رجال السياسة طالبوا بسحب القوات البريطانية من هذه الحملة، وقام أرثر ولزلي عام ١٨١٠م، بإنشاء قاعدة لا يمكن اختراقها، وذلك بحماية لشبونة بواسطة خطوط توريس فيدراس

مستغلًا بذلك فصل الشتاء، فقد كانت نيته أن يقف بشدة في موقفه الدفاعي وإلزام العدو بالتراجع عن بلاده المفتوحة.[٩٥] ولكنه لم يقم بأية محاولة للدفاع عن القلعة الكبيرة في سيسوداد ودريجو Sociedad and Diego، تلك كانت المفتاح الشمالي لدخول إسبانيا والبرتغال والتي استحوذ عليها الفرنسون في الحادي عشر من يوليو. واستطاع شن هجمات في الصيف ضد القوات الفرنسية وحقق من خلالها سلسلة من الانتصارات الصغيرة على الفرنسيين بمساعدة الثوار الإسبان[٩٦].

وفي عام ١٨١٢م اشتد الخلاف الفرنسي مع روسيا بصورة خطيرة، أدت إلى سحب الكثير من القوات الفرنسية من إسبانيا، وقد استفاد أرثر ولزلي من ذلك، واستغل أيضًا الانقسامات بين القادة الفرنسيين، فشن هجومًا في منتصف الشتاء في وقت لم يكن الفرنسيون يتوقعون فيه ذلك وسيطر على تشويداد رودريجو Ciudad Rodrigo وهو موقع مهم على الحدود الإسبانية البرتغالية في الثامن عشر من يناير ١٨١٢، ثم استولى في الجنوب على باداجوز Badajozفي التاسع من أبريل١٨١٢[٩٧] وعاد إلى الشمال ودخل سالامانكاSalamancaفي السابع عشر من يونيو ١٨١٢، وبعد مرور شهر هزم جيشًا فرنسيًّا بقيادة القائد مارمون Marmontجنوب ارابيليس Arapiles، وكان لهذا النصر البريطاني صدى عميق في كافة أنحاء إسبانيا، لأنه فتح الطريق أمام أرثر ولزلى إلى مدريد، عندها اضطر الملك جوزيف بونابرت إلى إخلاء العاصمة وهرب عن طريق فالنسياValencia(مدينة تقع شرق إسبانيا على ساحل البحر المتوسط) في العاشر من أغسطس عام ١٨١٢ [٩٨]، وفي الثاني عشر من أغسطس دخل أرثر ولزلى القصر الملكي في مدريد، وتمت السيطرة على جميع مناطق قشتالة من قبل القوات البريطانية والإسبانية.وغادرت آخر قوات فرنسية مدريد يوم السابع والعشرين من مايو١٨١٣وفي فيتوريا Vitoria شمال إسبانيا تكبدت القوات الفرنسية هزيمة ساحقة على يد القوات البريطانية[٩٩] التي أثارت الرعب بين صفوفهم وواصلت القوات البريطانية حصد انتصاراتها على الفرنسيين في جميع أنحاء إسبانيا' حتى عبر ما تبقى من حطام الجيوش الفرنسية

الحدود الإسبانية الفرنسية شمال منطقة رونسيسفال Roncesvalles (شمال إسبانيا قرب جبال البرانس) في الثامن والعشرين من يونيو ١٨١٣ واستطاعت القوات البريطانية الدخول إلى جنوب فرنسا ودفع الفرنسيين بصورة تدريجية وراء جبال البرنس، فكان ذلك إيذانا ببداية سقوط نابليون (١٠٠) .

شعر نابليون بالسخط عند سماعه بهذه الأخبار من إسبانيا، ففكر بالتفاوض مع الأمير فرديناند الذي كان في الأسر في قصر فالينسيا، وتولى السفير الفرنسي السابق في مدريد لافوريستLaforestهذه المهمة بالنيابة عن نابليون، واقترح على الأمير أن يعود إلى عرش إسبانيا للتخلص من الفوضى التي روج لها البريطانيون في بلاده، وبعد تردد وافق الأميرفرديناند ووقع على معاهدة فالينسي مع فرنسا في الثامن من ديسمبر ١٨١٣، حول عودته إلى مدريد ومنح العفو العام عن مؤيدي فرنسا، وأن يقوم الإسبان بإخراج القوات البريطانية من شبه الجزيرة.إلا إن هذه المعاهدة جاءت متأخرة كثيرًا، فقد خسرت فرنسا إسبانيا، و ترتب علي خسارتها لإسبانيا تشكيل جبهة بريطانية معادية لها في جنوب فرنسا (١٠١) .

اكتسبت بريطانيا المميزات الاستراتيجية في شبه الجزيرة. وقد استنزفت تلك الحروب المستمرة في البرتغال وإسبانيا، أكثر موارد نابليون الثمينة ما بين خيرة المحاربين والمعدات والأموال وأيضًا الدعم المحلي من الشباب الفرنسي.في حين أن المشاركات التي تقوم بها كل من الجيوش الإسبانية والبرتغالية بدأت في إغراق الفرنسيين بالاتحاد مع قوات بريطانيا تحت شعار"المصالح المشتركة" لعبت الأحداث في إسبانيا والبرتغال دورًا مهمًّا في السياسة الخارجية لبريطانيا عمومًا (١٠٢) .

فقد ذكر نابليون وهو في سانت هيلانه حيث قال:"**إنني أعلم أكثر من أي شخص آخر أن إسبانيا كانت سرطانًا مزعجًا كان لابد من علاجه قبل أن نستطيع الدخول في مثل هذه الحرب المرعبة التي لابد أن تكون معركتها الأولى على بعد ألف وخمسمائة ميل من حدودي**"(١٠٣) .

لقد أظهر نابليون في القضية الإسبانية من الجهد ما لم يظهره في غيرها من الحروب لقد قال:"**إن الإسبانين، كسائر الشعوب الإسبانيين، وسيكونون جد سعداء بقبولهم أنظمة الإمبراطورية** "ومن جهة ثانية، احتقر الثائرين الإسبان وإمكانية الأعمال التي يقومون بها وباحتقاره هذا بعثرة قواه في أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية، ولم يرسل عددًا كافيًا من الجنود ليخمد حركة الثوار نهائيًا، ولم ينظم جيشه بصورة كافية كالمعتاد، يضاف إلى ذلك أن نابليون لم ينظم قيادته؛ لأن عمل الزعماء لم يكن منسجمًا موحدًا، فكان كل جنرال يعمل مستقلًا عن الآخر، ومما لا شك فيه أن الجيوش النظامية في إسبانيا أو الثائرين لم يكن باستطاعتهم التخلص من الجيش الفرنسي لولا مساندة الإنجليز لهم فسيادة البحار التي احتفظ بها الإنجليز ساعدتهم على استمرار الحرب ضد فرنسا والذهاب بها حتى النهاية [١٠٤] .

middleeast2017@hotmail.com
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

الهوامش والمصادر والمراجع

(١) ليلى عنان: الحملة الفرنسية تنوير أم تزوير، الإصدار الأول، يونيو ١٩٥١، دار الهلال، ١٩٩٨، ص ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي: التاريخ الحديث والمعاصر لأوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٣٠٣.

(٣) أ.ج.جرانت وهارولد تمبرلي:أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين(١٧٨٩-١٩٥٠م)، ترجمة: بهاء فهمي، مراجعة: أحمد عزت عبد الكريم: سجل العرب، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٣٩.

(٤)محمد كمال الدسوقي: تاريخ أوروبا الحديث (١٨٠٠-١٩١٨م)، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، (د.ت)، ص٥٦.

(٥) سليم البستاني:تاريخ فرنسا الحديث، (د.ن)، بيروت، ١٨٨٤، ص ٥٦٨ .

(6)American,op,cit,p. 211

(٧) سحر أحمد ناجي الدليمي، سياسة بريطانيا الخارجية تجاه فرنسا في أوروبا (١٧٥٦-١٨١٥م)، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص١.

(٨) وهيبة قطوش : الصراع الفرنسي الإنجليزي في المشرق العربي مصر وسوريا نموذجًا (١٧٩٨-١٨٩٩م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، ٢٠١١، ص٢٨.

(٩) مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ص٨٩٦-٨٩٧.

(١٠) صفوت حسين: شراء الولايات المتحدة الأمريكية إقليم لويزيانا عام ١٨٠٣ والآثار المترتبة عليه، (د.م)، (د.ن)٢٠١٥، ص٨.

(١١) سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٢٩.

(١٢)أ.ج.جرانت وهارولد تمبرلي:مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(١٣) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي: مرجع سابق ،ص ص١١٠، ١١١.؛ نرجس كريم خضير جدران الخفاجي:دور كاستلري السياسي في أوروبا(١٨١٢-١٨٢٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ذي قار بالعرق، ٢٠١٠، ص٥٤.

(*) لعبت البرتغال دورًا فاعلًا في حرب شبه الجزيرة الإيبيرية، فيمكن لأية دولة استخدامها كقاعدة للعمليات العسكرية، حيث موانئها ذات قيمة استراتيجية، وقد ظهر العداء بين فرنسا والبرتغال عند قيام الثورة الفرنسية، حيث حاولت فرنسا عام ١٧٩٣إقناع البرتغال بأخذ موقف المحايد في الحرب إلا إن الملك البرتغالي تحالف مع بريطانيا ضد فرنسا، .للمزيد انظر:-

Black.J R Frederick H,Diplomatic Struggles:British Support In Spain And Portugal ,1800-1810,Ph,D,The Florida State University, 2005,p.6.

سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٣٨.

(**) كانت ثروة البرتغال تقوم على جلب المعادن من الخارج، وعندما أصبحت السيادة على البحار لبريطانيا أصبح وصول إمدادات الذهب للبرتغال متوقفًا على إمكانية الإفلات من الأساطيل البريطانية أو إمكانية عقد اتفاقات مع الحكومة البريطانية، فأصبحت معتمدة على بريطانيا مخافة أن تبتلعها إسبانيا أو فرنسا. للمزيد انظر :-وال ديورانت:عصر نابليون تاريخ الحضارة الأوروبية من عام ١٧٨٩م إلى ١٨١٥م، ترجمة:عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الكتاب الرابع(ملوك أوروبا في مواجهة التحدي١٧٨٩-١٨١٢م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢، ص١١ .

(14)The Royal Fusiliers In An Outline Of Military History(1685-1938),London,Gale &Polden,1938,pp.25,26.

(١٥) سليم البستاني:مرجع سابق ،ص٥٣٣ .

(16)Black,Op,cit,p.133.

(17)Musteen Jason,BecomingNelsons Refuge AndWellingtonSrock TheAscendancy Of Gibraltar During The Age Of Napoleon (1793-1815)PH.D,2005,p148.

(***) أسرة ملكية حكمت البرتغال والبرازيل من١٦٤٠-١٩١٠ أسسها دوق براجانزا الأول وهو ابن غير شرعي لجون الأول ملك البرتغال.وأصبح ملكًا باسم جون الرابع. لمزيد، انظر :نرجس كريم خضير جدران الخفاجي:مرجع سابق ، ص٣٥.

(18)Fitchett,William Henry,How England Saved Europe,The Story Of The Great War(1793-1815),Vol.2,London ,Smith ,Elder,1909,p.256.

(19)Trevelyan, George Macaulay,Britain History In The Nineteenth Century(1782-1901),London,Longmans Green & co,1923,P.122.

(20)Guilgault, Leony,A Brief Sketch Of French History(1789-1815),London,Glasgow And Dublin, 1903,p.126.

سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(****) إن التدخل الفرنسي في البرتغال الذي كان سببه الأساسي هو تطبيق الحصار القاري، ففي ٢٩أكتوبر ١٨٠٧ معقد معاهدة بين إسبانيا وفرنسا، التي كانت تهدف إلى تقسيم البرتغال إلى ثلاثة أجزاء:الجنوب يمنح إلى جودوي، والشمال كان من المقرر أن تضم إلى الإمبراطورية الفرنسية، أما المنطقة الوسطى ومعها لشبونة، فإن مصيرها قد تم تأجيله.للمزيد انظر :-

Wheeler,Harold Felix Baker,Napoleon(1769-1821),London,George.G. Harrap, 1913 p.194.

(21)Fugier,Andre,Histoire Des Relations Internationals(La Revolution Francaise Et lempire Napoleonien),Paris,Librairie Hachette, p.244 ;

(22)Wheeler,op,cit p.193; 534 سليم البستانى :مرجع سابق، ص

(23)Wheeler,op,cit,p.193.

سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٢٤) محمد كمال الدسوقى: مرجع سابق، ص ٥٣.

(25)Fitchett,op,cit,p.256.

(٢٦) محمد رفعت ومحمد أحمد حسونه: معالم تاريخ أوروبا الحديث ط ٤، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٧، ص١٩٥ ؛ سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(٢٧)محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢٨) جرانت تمبرلى، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(29)Herold,Christopher,The Age Of Napoleon,New York,American Heritage,1963,p190

(٣٠) صلاح أحمد هريدى:تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر١٧٨٩-١٩١٤،الإسكندرية، دار الوفاء، ٢٠٠٢، ص ١١٧

(31)Wheeler,op,cit,p.195

(٣٢) محمد صبري: الثورة الفرنسية ونابليون، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٧، ص ٢٦٤ .

(33)Grab, Alexander,Napoleon And The Transformation of Europe,New York,Palgrave Macmillan,2003,p.128 .

نور الدين حاطوم:تاريخ الحركات القومية، ج١(يقظة القوميات الاوروبية) دار الفكر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٩٩. سحر أحمد ناجي الدليمي، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(*****) شارل الرابع:-ملك أسبانيا كان شخصية ضعيفة ومترددة وكان مسيطرًا عليه من قبل زوجته ماري لويز (Marie Luise)ووزيره جودوي. دخل عام ١٧٩٦في تحالف مع فرنسا حتى بداية الحرب الأسبانية عام ١٨٠٧. للمزيد انظر:

The New Encyclopaedia Britannica,A Dictionary Of Arts ,Sciences, Literature And General Information,Vol.5,30Th ed ,London,1926,p.926.

(٣٤)إلياس طنوس الحويك: تاريخ نابليون الأول، مج٢، (د.ن)، بيروت، ١٩٨١، ص١٥٩.

(35)Richard,Lodge M.A:The Students Modern Europe(A History Of Modern Europe), From The Capture Of Constantinople By The Turks To The Treaty Of Berlin 1878,London ,Ohn Murry ,1914,p.602.

(36)Hammerton,John, The New Illustrated World History(A Record Of World Events From Earliest Historical Times To The Present Day)5thed,New York,Wise &co ,1947 pp.808,809

(37)Antoine,Louis,Memoirs Of Napoleon Bonaparte,Vol.3,New York,y R.W.Phipps,1891.p168

(38)Fyffe,Charles Alan,A History Of Modern Europe (1792-1878),New York,Henry Holt And Company ,1895, P. 250 .

(39(American,An,The Campaigns Of Napoleon Bounaparte Embracing The Events Of His Unexmpled Military Careerfrom The Ciege Of Toukon

To The Battle Of Waterloo Also The Period From His Abdication Of The Throne To His Final Imprisonment And Death On The Rock Of St.Helena , Boston,Charles Gaylord,1840,p.210.

(******) روبرت ستيوارت كاسلريه:ولد في أيرلندا ،ونجح في الحصول على العديد من المناصب والألقاب السياسية، انضم إلى الحزب التوري(Tories Party).للمزيد انظر:نرجس كريم خضير جدران الخفاجي:مرجع سابق ،ص ص ٢٣، ٢٨.

(40)Lord Castlereagh To The Commander Of The Force In The Leeward Islands(June 4 1808)From Vane,Charles William,Correspondence Despatches And Other Papers Of Viscount Castlereagh,Vol vi ,London,William Shoberl,1851,p.370.

(٤١) نقلًا عن : سليم البستانى : مرجع سابق، ص٥٤٦.

(٤٢) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ١٩٩.

(43)(Napoleon To Joseph April.8,1808)The Confidential Correspondence Of Napoleon Bonaparte With His Brother Joseph,Vol.1,London,John Murray ,1855,p.317.

(44)Hammerton,op,cit,p.809.

(45)Atkinson,William C,A History Of Spain Of Portugal,London,1960,P.262

(46)The Confidential Correspondence Napoleon Bonaparte His Brother Joseph Some Time King of Spain,Selected And Translated With Explanatody Notes From The Memoires Du Joseph,Vol.2,New York,1887,P.61.

(٤٧) نور الدين حاطوم: مرجع سابق،ص١٩٩.

(٤٨) عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعي، مرجع سابق، ص١١٤.؛ نرجس كريم خضير جدران الخفاجي: مرجع سابق ، ص٦٠.

(49)Alexander,Stavropoulos,Imperial Diplomats:Exploitation,Reform,And The Role Of The French Diplomatic Corps In Managing The Napoleonic Empire,PH.D,New York,2013,p.145.

(٥٠) شارل سنبوبوس:تاريخ التمدن الحديث، ترجمة الكاتب المحجوب، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٩، ص ص١١٩، ١٢٠

(51)Robinson,James Harvey And Beard,Charles A,The Development Of Modern Europe (An Introduction To The Study Of Current History),Vol.1,London,Ginn&Company,1907,pp.331

(52)Morris,William Oconnor, Napoleon Warrior And Ruler And The Military Supremacy Of Revolutionary France,London,G.P.Putnams Sons,1900,p.229.

(٥٣) نور الدين حاطوم :مرجع سابق،ص203.

(٥٤) زيدان حسان حاوي الشويلي:مؤتمر فينّا ١٨١٤ -١٨١٥،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- ابن رشد-جامعة بغداد، ٢٠٠٤.، ص٥١؛ أحمد صلاح هريدى : مرجع سابق، ص ص ١١٩، ١٢٠ .

(55)James,William, The Naval History Of Great Britain From The Declaration Of War By France In February 1793 To The Accession Of George IvIn January1820 ,Vol.6,1thed,London,Harding,1826,p.13.

(56)Black, op,cit ,p.97.

(57)T.K,Derry&Other,Great Britain Its History From Earliest Times To The Present Day, London, Oxford University Press ,1962,p.329.

(٥٨) مجهول المؤلف:نابليون بونابرت قاهر أوروبا، سلسلة الناجحون، مج١، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠١٠، ص٨٠

(٥٩) محمد كمال الدسوقي: مرجع سابق، ص ٥٣ .

(٦٠) مجهول المؤلف: مرجع سابق، ص٧٨.

(61)Ernest,Barker&Others,The European Inheritance,Vol.2,Clarendon,Oxford,1954,p252.

ماجد حميد طاهر يوسف السعداوي : انهيار إمبراطورية نابليون بونابرت (١٨٠٧-١٨١٥م)، كلية التربية، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص٥٤

(٦٢) رءوف بك الجادرجي:التاريخ السياسي، مطبعة الفرات، بغداد، ١٩٢٤، ص٣٣٦.

(63)Fellows,George Emory,Recent European History(1789-1900),Boston,Benj.H. Sanborn ,1902,p.127; مجهول المؤلف: مرجع سابق، ص81

(٦٤) سليم البستاني:مرجع سابق، ص ٥٧٢.

(٦٥) جرانت وتمبرلي: مرجع سابق، ص٢٤١؛ محمد أحمد أبو زيد طنطاوى وآخرون: مرجع سابق، ص٨٥.

(66)Forrest,Alan,Napoleons Men(The Soldiers Of The Revolution And Empire,London ,Hambledon Continuum,2006,pp.13,14; محمد كمال الدسوقى:مرجع سابق، ص 54

(٦٧) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى:العالم الحديث، مطبعة العلوم والآداب، دمشق، ص٧٩.

(68)Vane,op,cit ,PP.387,388.

(69)Busk,M.M,The History Of Spain And Portugal From B.C.1000 To A.D.1814 ,London, Baldwin And Cradock,1933,pp.283,284.

(٧٠) رءوف بك الجادرجي: مرجع سابق، ص٣٣٦.

(٧١) نرجس كريم خضير الخفاجي، مرجع سابق ،ص ص ٦٣، ٦٤.

(72)Musteen ,op,cit ,pp.149,150.

(73)Black, op,cit ,p.96.

(74)Ibid,op,cit ,p.96. سحر أحمد ناجى الدليمى : مرجع سابق ، ص٢٤١

(75) Thorn, John And Others,A History Of England,London,Ernest Benn limited ,1932,p.449.

(76)Ward ,A.W. &Others,The Cambridge Modern History,Vol ix(Napoleon),New York Macmillan ,1906,P.440.;Morris,,op,cit,p. 231.

نرجس كريم خضير الخفاجي، مرجع سابق ،ص٦٣

(77)Guilgault:op,cit,pp.127,128؛ James:op,cit,,p.15.

(78)Richard,op,cit p.603 .

(79)Reference Library Of Diplomatic Document Pertaining To The Convention Of Cintra 30 Augest 1808,Translated.From Original Documents By James Harvey Robinson, University Of Pennsylvania, 1995-2004.

(80 (James ,op,cit,p.15.

(81)Vane,op,cit, pp. 421,422.

(82)Russell ,op,cit,p.208.

نرجس كريم : مرجع سابق ، ص ٦٤ ؛ ماجد حميد طاهر يوسف السعداوي: مرجع سابق ، ص٥٦

(83)Reference Library Of Diplomatic Document,Treaty Between Sir Hew-Dairymple And Viscount Castlereagh 16 September1808,Translated From Original Documents By James Harvey Robinson,University Of Pennsylvania,1995-2004.

(84)Ward And Other,op.cit,P.441;.١٧٠ إلياس طنوس الحويك، مرجع السابق، ص

نرجس كريم : مرجع سابق : ص٦٥.

(85)Owen, John Beresford,The Eighteenth Century(1714-1815),London,1975.,P.275.

(٨٦) عبد العزيز نوار:مرجع سابق، ص ٣٠٣ .نرجس كريم : مرجع سابق ، ص٦٦

(٨٧) محمد قاسم وحسني حسين:تاريخ أوروبا الحديثة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٤، ص١٧٠.

(٨٨) أنور الرفاعي وشاكر مصطفى:مرجع سابق، ص٧٨.

عبد المنعم ابراهيم الدسوقي الجميعي: مرجع سابق، ص١٤٢ ; (89)Forrest,op,cit ,p.13

(٩٠) جمال محمود حجر: من قضايا التاريخ الأوروبى في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص٥٣ ؛Grab,op.cit,p.128

(91)Trevelyan,op,cit,P. 123.

(92)John And Others,op,cit,p.450.

(٩٣) رءوف بك الجادرجي:مرجع سابق، ص٣٣٦.

(94)Van op,cit ,p.386.

(95)Robinson And Beard,,op,cit ,p. 334.

(96)Mahan,A.T,The Influence Of Sea Power Upon The French Revolution And Empire (1793-1812)Vol.2,London,Sampson Low Marston,1892,pp.315,316; Richard,op,cit,p613 ، سحر أحمد ناجى : مرجع سابق ص٢٤٣.

(97)Mahajan,Vidya Dhar, History Of Modern Europe Since1789,4th ed,London S.Chand&CO, ,1968.pp.118,119; Mahan,op,cit ,pp.348,349.

(98)Cannon,Richard,Historical Records Of The British Army,Prepared For Publication Under The Direction Of The A Djutant – General,London,William Clowes,1836,p.53 ، سحر أحمد ناجى : مرجع سابق، ص٢٤٣.

(99)Webster,Charles,The Foreign Policy Of Castlereagh(1812-1815),London,G.Bell& Sons,1950,p.67.

(100)Cole,George Douglas Howard,The Intelligent Mans Review Of Europe To Day ,London,Victor Gollancz,1933,pp.300,301 ;

؛ نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ص٢٥٤، ٢٥٥؛ سحر أحمد ناجى الدليمى، مرجع سابق ، ص٢٤٤.

(101)Mahajan,op,cit ,P. 200.؛ المرجع نفسه ، ص٢٤٤

(102)Black,op,cit ,p.166.

(١٠٣) وال ديورانت:مرجع سابق، (الكتاب الخامس)، ص١٣.

(١٠٤) نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ص ١٩٧، ١٩٨.